التيه

قصة قصيرة

التيه

قصة قصيرة

رأفت صلاح الدين

مبدعون
للنشر والتوزيع
نحو أدبٍ راقٍ

(١)

يمشي وليد (٣٥ سنه، مهندس، طويل، نحيف، قمحي اللون) هائمًا على وجهه في الصحراء، ينظر حوله وكأنَّه قد فقد الذاكرة لبضع دقائق، حالته مزرية، فملابسه ممزقة وجسده ينزف دمًا، يحاول أن يتذكر أين هو؟ وماذا حدث؟ وأين يذهب؟ بعد بضعة دقائق يسترجع شيئًا من ذاكرته، يتذكر أنه خرج للتو من حادث انقلاب سيارته (سيارة سوداء اللون، نوع سكودا، موديل ٢٠١٨م)، على الطريق الصحراوي، بعد أن نجـــَّاه الله من موتٍ محقق، ثم خرج منها يبحث عن منقذٍ أو معين.

بينما يسير في الصحراء ينتبه إلى أنه قد فقد طريقه، لا يعرف أين يذهب؟ ولا كيف يرجع؟، وكم مر من الوقت وهو على تلك الحالة؟

وقد بلغ به الجوع والعطش والجهد مبلغًا، فأصابه الغمُّ والضجر والضيق مما حدث ويحدث معه، وأخذت تجول بخاطره بعض الهواجس التي سيطرت على حياته في الفترة الأخيرة من قبيل: الأقدار تعانده، وأنه يتعرض للظلم من كل من حوله، حتى من السماء؛ فهذه زوجته التي تزوجها منذ خمس سنوات عن قصة حب طويلة لم تنته المشاكل بينهما إلا بالطلاق، بعد أن أخذت منه طفلتهما الوحيدة وشقته وبعض المدخرات، ولم تكتف بهذا بل ما

زالت تشوه صورته، وتقدح في سيرته، وتصفه بأبشع الأوصاف، ولم تترك سرًا في حياتهما إلا وأفشته، وهو الذي كان يكرمها وينفق عليها ويغدق عليها وعلى أهلها.

وتذكر مديره في العمل الذي كان يضطهده ويبخسه حقه وينتقص عمله، ويمنع عنه الترقيات والمكافآت، وزد على ذلك الخصومات الشهرية التي كانت تنزل عليه كالبرق لا تنقطع .. رغم تفوقه وتميزه في عمله وبراعته واجتهاده.

وتذكر زملاءه في العمل وغيرتهم منه وتآمرهم عليه، واستغلالهم له رغم طيبته وتعامله بالحسنى معهم.

أخذ يتذكر كل ذلك وهو يلعن حظه وقدره وأنه لم يجد العدل في هذه الحياة وأصبح لا يقتنع بوجود عدل في هذا الكون.

وزاد الطين بلةً هذا الحادث الذي ألم به وهو يسير بسيارته الحديثة التي مازال يدفع أقساطها حتى الآن!

وبينما هو في هذه الحالة ومع اشتداد حرارة الجو سقط مغشيًّا عليه.

❖ ❖ ❖

(٢)

بدأ وليدٌ يفيق على وقع أيادٍ وتوسلات وترجيات وهزًّا عنيفًا في جسده، فأخذ يفتح عينيه رويدًا رويدًا، تتراءى أما عينيه وجوهٌ غير واضحة تروح وتجيء، وهو يردد: أين أنا؟ أين أنا؟

يأتيه صوت أجش حانٍ اطمئن يا بني أنت في أمان.

الحمد لله على سلامتك.

وجدناك في الصحراء مغمًى عليك فحملناك وأتينا بك إلى هنا، واطمئن ليس بك جروحٌ خطيرة فقط بعض الخدوش والرضوض الصغيرة لقد كان فضل الله عليك كبيرًا يا ولدي.

لم يكن الصوت إلا الحاج حسين (٦٥ سنة، أسمر اللون، ذو لحية بيضاء خفيفة، نحيف، طويل، يفقد إحدى رجليه ويستبدلها بأخرى صناعية) حوله ابناه حميدة وسالم.

نظر وليدٌ حوله فإذا هو في غرفة من الطوب الأبيض ليس بها أية تشطيبات أو دهانات، مسقوفة بأعمدة خشبية، أرضيتها بالكاد ممهدة من غير بلاط، مفروشة بـ «الحصير السمر» توجد على جنباتها مساند ظهر قطنية مكسُوَّة بالقماش لونها زيتي باهت، وبجانبه قلة، يوحي المكان بالفقر المدقع الذي ترزح تحته هذه الأسرة.

أخذ وليدٌ يقارن بين هذا البؤس والفقر، وبين ما يعيشه من رفاهية في المدينة، وهو يستغرب كيف يتحمل هؤلاء الناس هذه المعيشة التي تخلو من أي مُقوم من مقومات الحياة الهانئة!!

ابتدره الحاج حسين سائلًا ما الذي أتى بك في هذا المكان النائي؟ وماذا حدث لك؟ كأنك تعرضت لاعتداء!!

تنهد وليدٌ تنهيدةً طويلةً تنبئ عن حسرة وإحباط قائلًا: لقد تعرضت لحادث حيث انقلبت سيارتي عدة مرات نتيجة انفجار الإطار الأمامي في الطريق الصحراوي، لا أعرف مكانها الآن، ولا أعرف كيف خرجتُ وكنت أظن نفسي في عداد الموتى، وخرجت من السيارة أبحث عن أي مساعدة، فمشيت لا أعرف اتجاهي، فتهت في الصحراء، ولا أعرف ما حدث حتى اللحظة!

احمد الله ياولدي أن نجاك من الموت.

وليد: أحمد الله على أي شيء؛ على تحطم سيارتي الحديثة؟!! أم إصابتي؟!! أم لأنني ضللت طريقي في الصحراء وأنا بهذا الحال وتعرضي لموت محقق؟!!

هذه هي الحالة التي وصل إليها وليد نتيجة المشاكل التي واجهته في حياته.

نظر إليه الحاج حسين مستغربًا ومشفقًا، وآثر عدم الخوض معه في جدال وهو في هذه الحالة، لعله يستريح ويسترجع هدوءه ويقينه بربه.

ولم يكن رد الحاج حسين، ذلك الرجل البسيط الأمي المتدين

تدينًا فطريًا، إلا جملة واحدة مقتضبة، تنم عن إيمان عميق وعقيدة راسخة وخبرة بطبائع البشر: بل احمد الله أن نجاك من هذا الموت المحقق ولولاه لما كنت بيننا الآن ولعله ادَّخرك لشيء مهم.

مد الحاج حسين يده بكوب من الحليب لوليد قائلًا: اشرب يا بني حتى تسترد قوتك وعافيتك فأنت مرهق ومتعب.

❖ ❖ ❖

(٣)

بعد لحظات دخل سالم وبيده صينيه عليها طعام (تحتوي بيض وجبن وعسل وخبز بلدي) ووضع الصينية أمام وليد وأبيه، طلب الحاج حسين من وليد أن يمد يده قائلًا (لقمة على ما قسم) شكر وليد الحاج حسينًا وأثنى على كرمه وجوده وحسن رعايته له و إنقاذه إياه.

وبدأ يأكل بشراهة وكأنه لم يأكل منذ شهور. بعد تناول الطعام يطلب الحاج حسين من وليد مرافقته إلى الحوش الخارجي لتناول الشاي.

ينهض الحاج حسين واقفًا بصعوبة بسب عرجته وشيخوخته، متكئًا على عصا من جذع شجرة، متجهًا نحو باب خارجي يطل على حوش عبارة عن سور قصير مربع حول مساحة من أرض فضاء، في أحد أركانها توجد مظلة من سعف النخيل وبعض قش الأرز مثبتة على أعمدة من جذوع النخيل اليابس، تحتها فُرِشَ حصيرٌ صغير عليه بعض الوسائد البدوية، وبجانب الحصير زير ماء مغطى بإناء معدني وفوقها كوز من الألومنيوم القديم.

جلس الحاج حسين بصعوبة وطلب من وليد الجلوس بجواره، بدأ الحاج حسين حديثَ خبيرٍ بطبائع البشر وبأمور الحياة

قائلًا: شوف يا ولدي الحياة ليست خيرًا محضًا ولا شرًّا محضًا لأننا لسنا ملائكةً ولا شياطين، نحن بشر، وضرب له مثلًا بالصحراء من حوله قائلًا له :

انظر إلى الصحراء بعض الناس ينظر إليها على أنها جرداء قاحلة، لا زرع ولا ماء، من يدخلها هالك، ومن يخرج ناج، والبعض الآخر يرى فيها النقاء والفطرة والطيبة، وما يحمله باطنها من ثروات ومساحات شاسعة استصلحها الإنسان واستفاد منها.

وكلا النظرتين حقيقة، والاقتصار على إحداها خطأ، وهكذا لابد أن تكون نظرتنا للحياة، خير وشر، مكسب وخسارة، تعب وراحة.

رد وليدٌ بائسًا: لكنني لم أقابل فيها إلا الشر والتعب والخسارة، أرى أنك رجل طيب حنون، وارتحت لك، وأشعر تجاهك بإحساس الابن تجاه والده لذا سأحكي لك بعض ما لقيته في الحياة، وبدأ يسرد على الحاج حسين شيئًا من حياته وأسرته وتعليمه وحياته العملية ووضعه الاجتماعي، ثم تطرق لما لاقاه من هموم في حياته، من مشاكل مع أسرته ووالده وزوجته، وجيرانه، وأصدقائه، وزملائه في العمل، ومديره، وما تعرض له من خسائر من زوجته، وما تعرض له من نصب واحتيال واستغلال من أقرب الناس إليه، حتى فقد الثقة في الجميع وفي نفسه أيضًا، حتى خُتمتْ بهذه الحادثة التي ضيعت سيارته وكادت تودي بحياته!!

ثم نظر إلى الحاج حسين وأكمل حديثه أليس هذا شر كله؟

أليست هذه مصاعب ومتاعب؟، لقد فقدت الثقة في الجميع وأشعر بالهم والغم ليلًا، ولا أرى أي سبيل للخروج مما أنا فيه؟

استمع له الحاج حسين بإنصات واهتمام ثم رد عليه قائلا: أتفق معك يا بني أن هذه هموم كثيرة لا تحتمل، وأشعر بالتعاطف الكامل معك، ولا يمكن لإنسان أن يتحمل ما تعرضت له، ولا يمكن لي أن أقلل من شيء مما قلت، لكنني وأنت تقص عليَّ ما قابلته في حياتك أراك قد ركزت على جوانب الشر والمشاكل والمتاعب التي واجهتك فقط، وهذا يحدث معنا جميعًا للأسف، ففي لحظة المشاكل ننسى جوانب الخير والعافية والنعم، فأنت إذا نظرت في الجانب الآخر ستجد خيرًا كثيرًا في حياتك؛ فقد وفقك الله في نيل أعلى الشهادات العلمية، وبوأك وظيفة متميزة، ووسع لك في رزقك وصحتك، وتزوجت من تحب ورزقك منها الولد، وحققت معظم أحلامك، وعشت فتراتٍ طويلةً من عمرك في استقرار وسعادة ونعيم، أما المشاكل والهموم فلم تأخذ من عمرك الكثير، وفضلًا عن ذلك أنقذك من الموت بعد الحادث الذي حصل، ولولا ذلك لكانت حياتك انتهت وفقدت كل شيء، ولاقيت الله وأنت ناقم على أقداره، وهذه أم المصائب، لكنه أمهلك وأعطاك الفرصة لتعيد حساباتك وتستعيد ما فقدت، وترضى بكل ما قدره لك، خيره وشره.. أليست هذه كلها نعم تستوجب الشكر والعرفان لمولاك؟

ينقطع الحديث على صوت طفلة صغيرة: الشاي يا جدي .. (كان الصوت لفاطمة حفيدة الحاج حسين، وهي طفلة لم تبلغ العاشرة

بعد، ترتدي زيًّا بدويًّا ويظهر عليها الهدوء والحياء والجمال البدوي النقي) ..

بينما يتناولان الشاي إذا بأذان العشاء يدوي في الأرجاء، فاقترح الحاج حسين أن يذهبا للمسجد للصلاة فرد وليد بشكل من اللامبالاة: أنا أصلًا لا أصلي.

رد الحاج حسين هداك الله يا بني، وأكمل: سأذهب للصلاة وللحديث بقية والبيت بيتك.

لم يُرِد الحاج حسين أن يضغط عليه وهو في هذه الحالة النفسية.

قال وليد: هل يمكنني الذهاب الآن لأتفقد ما حل بسيارتي؟

أجاب الحاج حسين: الأفضل ننتظر للصباح فالطريق بعيد والظلام دامس ولن نجد من يصلحها الآن (والصباح رباح)، ثم انطلق إلى المسجد.

❖ ❖ ❖

(٤)

استلقى وليدٌ على ظهره متألمًا من آثار الحادث وبدأ يفكر في وضع هذا الرجل كبير السن الكريم والعطوف ومساعدته له دون سابق معرفة ودون طلب مقابل رغم ظروفه الصعبة وحالته الصحية وضعفه وعرجته. كيف به يذهب إلى المسجد وهو في هذا السن وهذه الحالة!!

وأكثر ما شغل باله هو حالة الرضا والتسليم بأقدار الله والاحتساب التي يعيشها هذا الشيخ الكبير المبتلى!!

استقام من رقدته ووقف بجانب سور الحوش وأخذ يتطلع في أهل القرية الذين يمرون أمامه وكثير منهم متجهون للمسجد للصلاة، وما يظهر عليهم من فقر وفاقة، هل يا ترى ما عندهم من مشاكل أكثر مما عندي أم أقل أم ماذا؟

وبدأ يتفقد حال القرية، بيوتها المتواضعة وشوارعها الضيقة، لكنه لاحظ حالة السكينة والبهجة والرضى التي تعم الجميع، كما لاحظ خلو القرية من الضجيج والإزعاج، هدوء في كل شيء.

جو يساعد على التأمل والتفكير والراحة النفسية. أخذ يفكر في كل هذا وهو يشعر أنه يعيش وحيد وغريب في عالمه الذي رسمه وخطه لنفسه.

بعد نصف ساعة عاد الحاج حسين مرةً أخرى، وطلب من أهل البيت عمل المزيد من الشاي ، بعد أن مازح وليد: تشرب شاي يعدل مزاجك أم أن مزاجك عال؟

ضحك وليد وقال: هذا وقت الشاي فأنا في غاية الاحتياج له، وخاصةً أنني شربت عندكم أفضل كوب شاي شربته في حياتي.

دخل الحاج حسين إلى داخل البيت وبعد برهة عاد ممسكًا صينية الشاي بيده طالبًا من وليد أن يساعده في الامساك بها حتى لا تسقط من يده فهو كبير في السن وأعرج قالها وهو يضحك فضحك معه وليد داعيًا له بالصحة والعافية.

❖ ❖ ❖

(٥)

جلسا وتناولا الشاي، وقال له وليد: هل يمكن لي أن أسألك سؤالًا يلح عليَّ؟

تفضل يا بني ..

لماذا تفعل كل هذا معي رغم عدم سابق معرفة بيننا؟

وماذا فعلت يا بني؟

انقذتني من الصحراء وأخذتني إلى بيتك وأكرمتني وأعددت لي طعامًا وشرابًا رغم ضعف الحال -معذرةً- كما أرى!

لم أفعل شيئًا يا بني هذه عاداتنا وأعرافنا وطبعنا، كما أن ديننا علمنا أن نعين المحتاج ونساعد المضطر وهذا واجب علينا، وهذا أقل القليل، ولولا ضيق اليد كما قلت لكنا قدمنا لك أكثر من ذلك؟

ابتدره وليد: لم أقابل في حياتي من يقدم شيء دون مقابل؟!

رد الحاج حسين: هذه حياتك فلعلك لم تحتك إلا بأناس طامعين استغلاليين ضعيفي الإيمان، يستغلونك وغيرك ولا يقدمون خدماتهم إلا بمقابل!

أما أنا فقد قابلت الكثيرين من هؤلاء ومن هؤلاء والحمد لله أهل الخير والإيمان كثيرون. والدنيا يا بني ليست أخذًا أو عطاءً بمقابل فقط، لكن فيها أيضًا الاحتساب وهو أن نقدم وننتظر الأجر

من الله.

وليد: عجيب أمرك يا حج حسين رغم ما أنت فيه فما زلت راضٍ بوضعك شاكرًا لربك!!

الحاج حسين: وما بي يا بني!! أنا أبيت شبعانَ وأنام بعافية، مبسوطًا بلا هموم ولا نكد، وصحتي الحمد لله بخير، رغم عرجتي فما زلت استطيع الحركة، حتى أنني كنت في طريقي لشراء بضاعة لبقالتي الصغيرة عندما وجدتك أنا وأبنائي سالم وحميدة وحملناك إلى هنا.

وليد: لم أقابل في حياتي شخصًا مثلك ..

الحاج حسين: اختلف معك يا ولدي فهناك الكثيرون مثلي وأفضل مني، ولعلك ستقابلهم، لكن طيِّب خاطرك وروِّح عن نفسك و إهدأ وارض بأقدار الله وحكمته فأمره كله خير ستعثر على الكثيرين.

❖ ❖ ❖

(٦)

لا تحكم يا بني بالمظاهر، سأحكي لك شيئًا من قصتي حتى تفهم،

أنا كنت شابًّا قوي البنيان مغترًا بصحتي وقوتي أعيش حياتي بالطول والعرض كما يقولون ولا أراعي حق الله، كنت أكسب كثيرًا بالبلطجة والنصب، تزوجت من إمرأة جميلة، كنت أحبها جدًا وكانت دائمة النصح لي أن أبعد عن الحرام.

عشت معها سنوات طويلة اقتربت من العشرين، وكانت تصبر على سوء معاملتي لها وضربها أحيانًا!!

ورزقت منها بولدين وبنت ..

في أحد الأيام كنا في سفر بالسيارة أنا وأسرتي إذ حدث لنا حادث نجم عنه وفاة زوجتي وأحد أولادي وبترت ساقي.

اسودَّت الدنيا في وجهي، فقدت أعز إنسانٍ في حياتي، ومعها ولدي حمزة.

وخرجت من الحادث بعرجتي هذه ..

وخفت أن أهل القرية سينتقمون مني بسبب ظلمي لهم، وسوء أخلاقي معهم، وما ارتكبته في حقهم من آثام.

لكن الذي حدث عكس ما توقعته، بل لم يخطر ببالي شيء

منه، حيث وجدت منهم أروع معاملة وعطف ومساعدة ومؤازرة، أشفقوا على حالي ووقفوا بجانبي وأنا في المستشفى وبعد أن خرجت، لم يتركوني يومًا.

زوجوني من إحدى السيدات المطلقات وأعانوني في فتح بقالة حتى أتكسب منها، وتكون دخلًا مستقلًا لي.

وعشت حياتي بينهم ورزقني الله من زوجتي بالأبناء والبنات،

وكم أثر فيَّ كرم ومروءة أهل قريتي وجيراني فأعلنت التوبة إلى الله مما كنت أفعله، وبدأت حياةً جديدة، بعد أن اعتبرت بما ألمَّ بي وفضل الله عليَّ في شأني كله، ومنذ ذلك الوقت وأنا على هذا الحال.

لقد نظرت لميزات الصحراء قبل عيوبها، وما في الدنيا من خير قبل شرورها.

ياه يا حاج حسين أنت مررت بظروف صعبة في حياتك، فلعلك قابلت أناسًا طيبين وقفوا بجانبك وهذا مما ساعدك على العودة من جديد وثبات إيمانك.

نعم يا بني لا أنكر ذلك، ولكن هناك شيء مهم لا بد أن تضعه في حسبانك وأنت مثل ابني ولا تزعل مني.

تفضل يا عم حسين لا يمكن لي أن أزعل منك أبدًا!

شخصية الإنسان يا بني عليها عامل كبير في تسيير أموره و إصلاح حاله، فقد يكون ما يتعرض له الإنسان في حياته بسبب ضعف شخصيته أو سلبيته أو انسحابه وهروبه من المشاكل، أو

عدم قدرته على مواجهة الصعاب والمسؤوليات، وأراك قد وقعت في شيء من ذلك واتهمت القدر بأنه هو من يقف ضدك.

كيف؟

أقول لك: حكايتك مع زوجتك مثلًا، تزوجتها عن حب كما أخبرتني، وعشت معها سعيدًا في الأول، لكنك كما قلتَ أهملتها بعد ذلك، وانشغلت عنها بعملك، وأشعرتها بعدم الاهتمام، والنساء لا يحبون ذلك، وكنت سلبيًا معها ولم تتحمل مسؤلية بيتك وابنتك، وأشعرتهم أنهم آخر شيء في حياتك ممكن أن تهتم به.

طيب يعني كنت أترك عملي؟

عملك مهم لكن لبيتك وأسرتك عليك حق أيضًا، والإنسان الذكي هو من يوازن، ويستطيع أن يوفق بين بيته وعمله، كان يكفيك قليل من السياسة والحكمة.

وبالنسبة لمديرك أرى أن استئساده عليك بسبب سلبيتك وضعف شخصيتك أمامه، فكما أن للمدير احترامه، فعليك أيضا أن تكون قوي الشخصية، فأي إنسان لا يحترم ضعيف الشخصية ويستهزئ به ، فيسيطر عليه ويخضعه لسلطته وجبروته.

من الشجاعة يا بني أن تعترف بخطئك وأن تحمِّل نفسك جزءًا من سبب تعثرك وفشلك في بعض الأمور وخسارتك أيضًا، ويكون عندك من الشجاعة ما تواجه به المشاكل بقوة وحسم، وهذان هما الطريق لحل المشاكل، وليس الهروب منها وتحميلها للغير، وإذا لم نجد هذا الغير حملناها للأقدار.

الإنسان هو من يختار قدره ويختار حياته، القدر يا بني فيه الخير والشر فإذا سلمنا بالخير فقط وضجرنا من الشر سنكون ظالمين وغير منصفين .. كما أننا لا نسلم بالشر المحض، المنصف يا بني هو من يحمد الله على الخير، ويستعيذ بالله من الشر، ويسعى لتغييره.

وأنا أرى -وأنا أقل منك علمًا وثقافة - أن الله عرضك لهذا الحادث حتى تفكر وتتعظ، كان من الممكن أن يقبض روحك كما يقبض أرواح الآلاف يوميا، ولكنه يدخرك ليعطيك الفرصة لكي تولد من جديد لتعيد حساباتك وتعيد نفسك للطريق الصحيح وتستعيد ما خسرته، وينقذك من شر نفسك.

كان وليدٌ يستمع مطرقًا ومطأطئًا رأسه، وظل صامتًا حتى انتهى الحج حسين من كلامه.

كان متعجبًا من صراحة الرجل، وكيف يحمل كل هذه الحكمة التي استطاع بها أن يُشرِّحه تشريحًا دقيقًا، ويضع يده على الجرح الحقيقي، بل لقد نجح هذا الرجل أن يجعله يستكشف نفسه من جديد ويريه من نفسه ما لم يكن يراه من قبل.

وأكمل الحاج حسين: أرى يا بني أني أكثرت عليك وتعديت حدودي!

لا أبدًا يا حاج بالعكس كلامك يمسح التراب عن الحقيقة.

أجهز لك الآن مكانًا للنوم حتى نستيقظ باكرًا لنرى أمر سيارتك، واعذرني إن كان المكان لا يناسبك.

(٧)

أدخل الحاج حسين وليد إلى نفس الغرفة وأحضر له فراشًا وغطاءً حتى ينام، وذهب هو للنوم.

لكنَّ وليدًا لم ينم هذه الليلة، كيف ينام وهو قد تعرض للطرق بمطرقة على رأسه من كلام الحاج حسين؟!!

كيف يكون هو سبب ما يحدث له من مشاكل وهموم؟!!

كيف تسببت ضعف شخصيته وانطوائه في مشاكل مع زوجته وزملائه ومديره وبعض الناس الذين يظنونه متكبرًا ؟!!

هل هو السبب أم الأقدار؟!!

كيف هيئ الله له مقابلة هذا الرجل الذي رغم فقره وفاقته واعتلال صحته فكأنه خبير في تحليل النفس، خبير بالحياة، لبق في كلامه؟!

استطاع أن يهزَّه هزًّا عنيفًا ويعريه ، استطاع أن يسبر غوره ويكشفه على حقيقته أمام نفسه.

كيف عجز أن يرد عليه وهو المتعلم المثقف؟!!

هل هذه هي الحقيقة؟!!

أنني السبب في كل مشاكلي!!

أنا غلط والكل صح!!

أم ماذا ؟!!

(٨)

مع بداية تباشير الصباح سمع وليد طرقًا خفيفًا على الباب وصوت نحنحة. أذن للحاج حسين بالدخول، دخل ومعه الفطور، وسأله: هل ما زلت لا تريد الصلاة؟

بلى لكن اتركني حتى أعيد حساباتي، فقد كنت في تيه وغيبوبة، كنت في ضياع.

بعدها طلب منه الحاج حسين الاستعداد للذهاب حيث مكان سيارته بعد تناول الفطور والشاي.

ظل وليد مطرقًا واجمًا منشغلًا في تفكيره بما مر معه وما سمعه ليلة أمس، لم يخرجه من شروده إلا يد الحاج حسين تربت على كتفه:

ما لك يا هندسة لست معنا؟

لا شيء فقط أفكر في أمر السيارة.

لا تقلق معنا ميكانيكي من أبناء القرية سيفحص السيارة ولن يكون إلا خيرا.

هز وليد رأسه بالقبول والرضا.

❖ ❖ ❖

(٩)

بعد أن وصولوا للطريق الصحراوي دلهم وليد على مكان السيارة،

وجدوها على جانب الطريق في الجزء الرملي، لكنها كانت مقلوبةً على ظهرها، فاستعانوا ببعض المارة وأصحاب السيارات وعملوا على تعديل وضعها مرةً أخرى ليسهل فحصها و إصلاحها، أخيرا بعد عدة محاولات وجهد كبير صارت السيارة في وضعها الطبيعي.

وبدا جسم السيارة الخارجي وقد تعرض لمشاكل كثيرة، أخذ الميكانيكي يفحص السيارة وبدأ يصلح ما بها وحاول تشغيلها وبعد عدة محاولات سمعوا صوت الموتور، لقد اشتغلت السيارة.

بشرهم الميكانيكي أن السيارة تستطيع الحركة الآن، وأن الموتور سليم يحتاج بعض الإصلاحات البسيطة، لكن المشكلة في الجسم الخارجي، تحتاج ورشة (سمكرة) سيارات.

سأقودها الآن وآخذها للتوكيل.

كيف ستقودها هكذا ؟

لن استطيع أن انتظر أكثر من ذلك، عندي عمل كثير، وعندي التزامات كثيرة.

ليس لدي وقت، أريد أن أرتب حياتي من جديد.

حاول وليد أن ينتحي جانبا بالحاج حسين ليعرض عليه مالًا مقابل هذا العمل، رفض الحاج حسين، وردَّ على وليد بأن ذلك عيب في عرفهم، وأنه لم يفعل غير الواجب، وأن سيد الميكانيكي جاره وزي ابنه.

احتضن وليد الحاج حسين وأبلغه أنه ممتن لكرمه ولطفه ومساعدته له

وأنه لن ينساه.

طلب منه الحاج حسين متوددًا أن يفكر في كلامه ويسعى لتغيير حياته نحو الأفضل، ولا ينسى فضل الله عليه.

ابتسم وليد لأول مرة منذ عدة أيام، وردَّ أنه لا يستطيع أن ينسى كلامه، ولا تأثيره عليه فهو ما زال يفكر فيه.

ركب وليد سيارته وهو يفكر متأملًا.

ماذا حدث معي؟

ماذا حدث للسيارة؟

هل ما حدث للسيارة انقلاب أم اعتدال؟

هل ما حدث لي انقلاب أم اعتدال؟

اعتدال أم انقلاب؟!!

أغلب الظن أن ما حدث لي بالفعل هو انقلاب ..

❖ ❖ ❖